اي واحد منهم واما هو في نفسه فلربما انطرح بعد الذكر فلا يتجاسر احد عليه
ولا يصل عبد الى الانتفاع بالكلام منه ولا معه مدة حتى يتسرى عنه ذلك الوارد
ولقد شاء الله تعالى فذكرنا معه مرة بالراحة من غير كلفة فكان الخواطر لم يكن
في القلب منها شيء بل ذهبت ببركة انفاسه العاطرة نفعنا الله والمسلمين به في الدنيا
والاخرة وهكذا اخبرني بعض الصحابة من اخواننا انه كان يذكر معهم بدمشق الشام فشاهدوا
منه احوالا لا يسعها العقل ولقد اخبرنا ايضا عن شيخه الكبير سيدي ابي العباس
احمد النبتاسي انه كان لا يفتح فيهم الذكر ايثارا لتعليم العلم فالتمسوا ذلك منه في
بعض الاحيان فاجابهم حتى حصلت منه حركة طارت بها عمامته عن راسه وعم النفع
والفتح والبركة لاولئك الفقرا كلهم وانما ذكرت لك هذا الفصل لئلا تغتر بمن لا
يتمول ذكره الا الصخب والتعب والنصب او تكون همته مقصورة فيه على النعيم
والطرب كما هو مشاهد في هذا الوقت العجيب ولئلا تصد بالقوة عن
الذكر بالقوة والصوت مما مال اليه بعض الاعاجم خاصة وعامة من انكار
الذكر جهرا بالصوت ويزعمون ان ذلك غفلة وليس هو المقصود اذ المقصود
ذكر القلب معتمدين على قوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة وقوله
صلى الله عليه وسلم افضل الذكر الخفي ونحو ذلك كقوله اربعوا على انفسكم فانكم
لا تدعون اصم ولا غائبا والجواب عن هذه الادلة اوضحناه باذن الله تعالى في
رسالة مستقلة لا نعيدها هنا نعم نلوح الى الجواب بالايجاز ونفصح عن الحق بالالغاز
فاما قوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة فلعله مسوق لسبب وهو ان
الكفار كانوا اذا سمعوا القران والذكر سبوا القران ومن جاء بالقران حسبما ذكره
في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك يعني بقراءتك لئلا يسمعك المشركون الفجار
ولا تخافت بها لئلا يفوت السماع لصحبك الاخيار وابتغ بين ذلك سبيلا اي بين
السر والاجهار وقد زالت العلة بظهور دين الاسلام على الاديان ولله الحمد
فزال المعلول وتعين الجهر والاعلان ولله در القائل ابو ذر الغفاري حيث
قال في بدء الاسلام والذي بعثك بالحق نبيا لاصرخن بها بين ظهرانيهم
يعني كلمة التوحيد وفعل ذلك ولم يكترث بما لاقاه من الاذى هنالك

ايضا

ايضا قوله في نفسك يشير الى مراعاة القلب المعبر عنه هنا بالنفس فان الذكر
باللسان والقلب وفاق وباللسان دون القلب نفاق فامر بذكر مطابقا ظاهره لباطنه
وباطنه لظاهره والسر والجهر مسكوت عنه ولا يلزم من قوله تضرعا وخيفة
ان يكون المراد بذلك اخفاء الصوت فيه وانما المراد اخفاؤه من النفس والشيطان
بالغيبة عنهما والفناء بالمذكور عن الذكر والذاكر وقوله ولا تكن من الغافلين يعني
الذين غفلوا عن مذكورهم بذكرهم فانهم لو ذكروه بقلوبهم لشهدوه جليسهم
ولو شهدوه جليسهم لوردا الحركات والسكنات منهم ومن غيرهم منه وحده لا
شريك له فلذلك يروه هو الذاكر والمذكور كما قال بعضهم من العارفين المحققين

لقد كنت دهرا قبل ان يكشف الغطا … اخال باني ذاكر لك شاكر
فلما اضاء الصبح اصبحت شاهدا … بانك مذكور وذكر وذاكر

وكذا ينبغي ان يحمل قوله صلى الله عليه وسلم افضل الذكر الخفي على ما خفي سره عن النفس
والشيطان بل وعن الملائكة الحفظة كما نقل عن بعضهم انه كشف له عن حفظته فسالوه
ان يطلعهم على عمله السري ليتشرفوا بكتابته فقال لهم اانتم تطلعون على فرائضي
فقالوا نعم قال يكفيكم ذلك مني او كما قال في النقل والله اعلم واما قوله صلى الله عليه
وسلم اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا يقال له في مقام التعليم
والارشاد الى معرفة الله تعالى ومعرفة صفات ذاته العلية وقيل كان يخشى ان يطلع العدو
برفع الصوت عليهم فياخذ حذره منهم فيفوت الغرض من تبييت العدو واخذه غرة
ولك ان تقول اراد ان يخرجهم عن مرادهم الى مراده كما اخرج الصديق والفاروق بخفض
ورفع رضي الله عنهما عن اختيارهما اذ امر الصديق برفع صوته وامر الفاروق بخفض صوته
وحديثهما مشهور ومن المعلوم انه لم ينكر على بلال رفع صوته بذكر الاذان بل هو صلى الله
عليه وسلم كان يرفع صوته بقراءة القران في الصلوة الجهرية وخارج الصلوة ورفع صوته
بالتلبية وقال صلى الله عليه وسلم اذكروا الله حتى يقولوا مجنون وفي رواية حتى يقول
المنافقون انكم تراؤون والقول الفصل ان الجهر بالذكر له مقام ووقت وكذلك
السر فافهم والله اعلم تتمة في مناقب الشيخ الناظم كان يحب الانتصار فاذا
قدر عفا اخبرني بذلك سيدي مسعود المغربي وذكر ان بعض علماء الرسوم

بلغ